مفهوم الحياء في ملابس المرأة المسلمة: وجهة نظر إسلامية

مجلة نيوزيلندا للدراسات الآسيوية 8 و 2 (ديسمبر 2006): 156-134.

ورقة نقاش – وجهة نظر المطلعين

مفهوم الحياء في ملابس المرأة المسلمة: وجهة نظر إسلامية

عائشة وود بولنوار [1]
جامعة أوتاجو

يبحث هذا المقال في الأسباب الدينية لارتداء الملابس التي تتوافق مع الإرشادات المنصوص عليها في التعاليم الإسلامية، حيث يناقش الطابع الداخلي للإسلام ويشرح كيف يتدفق كل السلوك الإسلامي المسموح به من المفهوم الأساسي "الحياء" أو الاحتشام. وجرى مناقشة شرح هذه الأفكار كتابيًا باللغة الإنجليزية، وكذلك كيف نتج عن ذلك شيء من سوء الفهم والتضليل. والغرض من هذا العمل هو توضيح الأسباب الدينية لاختيار المسلمين – خاصة النساء – شكل الملابس التي يرتدونها أينما كانوا – حتى في نيوزيلندا.

هل الإسلام مجرد دين؟ وهل هو منهج علمي من حيث أنه يتكون من العديد من المصطلحات التقنية والمحددة بوضوح والتي تعاني غالبًا من ضعف الترجمة من لغة إلى أخرى؟ وهل هو أسلوب حياة (دين) من حيث أنه يعلم أسلوب حياة كامل وشامل وشمولي، وأن المهمة الأساسية للمسلم هي تعلم الدين والتصرف بناءً على ما تعلمه؟[2]

مهما كان التزام المسلم، فإنه يرجع إلى مصادر الهداية الإسلامية - القرآن والسنة (أقوال النبي محمد (ﷺ) وسلوكه) [3] وأحكام العلماء[4] والعمل وفقًا لها قدر الإمكان. لكن بعض المعرفة بالمفاهيم الأساسية للإسلام قد تجيب على العديد من الأسئلة التي قد يطرحها النيوزيلنديون الآخرون حول عن آداب المسلمين وملابسهم وسلوكهم. ولعل أكثر هذه المفاهيم مركزية هو مفهوم الحياء.

الحياء الجسدي

جرى تناول مفهوم الحياء في التعاليم الإسلامية من عدة زوايا. فمن الناحية الجسدية، يرتبط الحياء بالعورة – مصطلح عربي يعني "موطن الضعف الذي لا يُنتهك" (El Guindi 1999:142) أو "ما ينبغي تغطيته" ويتكون من أجزاء جسم الإنسان الخاصة. والعورة عند الرجل من السرة إلى الركبة (أو منتصف الفخذ في بعض الأحكام) (AlQaradawi 1995:154) . والعورة عند النساء أكثر شمولاً، فهي مسألة أكثر تعقيداً بالكامل. فعورة المرأة بالنسبة للرجل خارج محرمها (أفراد الأسرة وغير المؤهلين إلى الأبد للزواج منها) والمرأة غير المسلمة تتكون من جسدها بالكامل باستثناء وجهها ويديها. وهناك اثنتا عشرة فئة من المحارم منهم من يجوز له رؤية شعر المرأة وأذنيها وعنقها وأعلى صدرها وذراعها ورجليها. ولا يجوز الكشف عن أجزاء أخرى من جسدها كالظهر والبطن والفخذين وعضوين من العورة أمام أي شخص – رجلًا كان أم امرأة – إلا زوجها

---

1 عائشة وود بولنوار (aboulanouar@business.otago.ac.nz) هي زميلة ممارسة مهنية، قسم التسويق، جامعة أوتاجو.

2 في الواقع يمكن تعريف "المسلم" بأنه من أتباع الدين الإسلامي. وعندما يكون مصطلح الإسلامي بين علامتي اقتباس يمكن تهجئتها "دين".

3 يُطلق على الحديث الشفهي للنبي والمسجل علميًا "حديث" (والجمع "أحاديث").

4 يُطلق عليها في اللغة العربية "القياس" و"الإجماع"، وهما نوعان مختلفان من أحكام العلماء للأشياء التي لم يُحكم فيها في زمن النبي (ﷺ) مثل الإخصاب في المختبر [أطفال الأنابيب والحقن المجهري] والتدخين. فالأول يستخدم القياس لإصدار الحكم والآخر بإجماع العلماء.

(Al-Qaradawi 1995:160). كما رأى بعض العلماء أن عورة المرأة بالنسبة لغيرها من المسلمات هي "المنطقة الواقعة بين سرتها وركبتها" (Al-Qaradawi 1995:160).

قد نعتبر مناطق العورة عند الرجال من "السرة إلى الركبة" وعند المرأة "أجساد المرأة كلها ما عدا الوجه واليدين" (Al-Qaradawi 1995:154). ومن الناحية العملية، هذا يعني أن هذه المناطق من الجسم لا يجب أن تُعرض لأي شخص باستثناء الزوج (أو الطبيب، إذا لزم الأمر)، وفي حالة النساء، فإنها تشير إلى ما يجب عليها ستره في الأماكن العامة – وليس في المنزل أو مع أفراد أسرتها في منطقة خاصة. (سننظر في تعريف "الأماكن العامة" من وجهة نظر إسلامية لاحقًا.)

المسلمون محتشمون جسديًا للغاية نتيجة لمفهوم العورة، وتتعلق العديد من الأحاديث بحالات يجب مراعاة الحياء فيها:

> رأى رسول الله[5] رجلاً يغتسل بالبرَاز بلا إزار فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " إن الله حييٌّ ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر" (Sunan of Abu-Dawood 4001)[6]

الزواج كعمل حياء

يشجع الإسلام على الزواج ويُنظر إلى الزواج على أنه "استكمال" كل إنسان كما أنه فعل يحمي الحياء. "بشكل عام، يعتبر المسلمون الزواج من أساسيات الحياة.... تعتبر الأسرة – سواء كانت الأسرة الممتدة أو الأساسية بمثابة المؤسسة الرئيسة للمجتمع (Roald 2001:213). "الزواج عبادة يكمل بها الرجل نصف دينه" (Sabiq 1998 Vol. 2:8). ويوحد حديثان في هذا الأمر هما:

> "من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني" (Sabiq 1998 Vol. 2:8)[7]

> "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". (Sahih Al-Bukhari 7.4).

في التعاليم الإسلامية، يحدث الاتصال الجسدي المسموح به (الحلال) الحيد بين الرجل والمرأة في إطار الزواج. أي اتصال حميم آخر ممنوع (حرام). ومن الواضح أن الزواج الشرعي يأتي مصحوبًا بمسؤوليات وحقوق للطرفين كليها وقد تنولنا هذه الأشياء بوضوح في التعليم.

الحياء كشكل من أشكال الإيمان

يُعتبر الحياء أيضًا جزءًا مهمًا من الإيمان. كما جاء في هذه الأحاديث:

"الإيمان بعض وستون شعبة... والحياء شعبة من الإيمان" (Al-Bukhari 1.8)

"إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّيَ، فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ..... فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ" (Al-Tirmidhi 3115)

---

5 في النص الأصلي، هذه الإشارة إلى النبي محمد متبوعة بالصيغة التشريفية "صلى الله عليه وسلم"
6 جميع الأحاديث المقتبسة في هذا العمل مرجعها القرص المضغوط "عالم" ما لم يُنص على خلاف ذلك.
7 ترجمات أخرى بمعرفة زكريا بولانور.

قد تبدو الإشارة إلى "مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ" غريبة لكن كما تلاحظ الكاتبة الدينية كارين أرمسترونج أن المسلمين لديهم "وعي بالله" واسع الانتشار مما يجعلهم دائمًا على دراية "بالغيب" ووجود الله في كل مكان. وهذا التركيز على الله – ونتيجة لذلك – على الحياة الآخرة، يجعل طريقة النظر إلى العالم مختلفة تمامًا عن تلك الأكثر شيوعًا في المجتمعات الغربية (Armstrong 1993:4).

الكلام والفكر والعمل

التواضع وقلة الإسهاب هي أشكال أخرى من الحياء وهي ذات قيمة عالية كما توضح هذه الأحاديث الأربعة:

الحياءُ والعَيُّ شُعبتانُ من الإيمانِ والبَذاءةُ والبَيانُ شُعبتانِ من النِّفاقِ. (Al-Tirmidhi 4796)

الحياءُ من الإيمانِ، والإيمانُ في الجنَّةِ، والبذاءُ من الجفاءِ، والجفاءُ في النارِ (Al-Tirmidhi 5077)

"ما كانَت الفُحشُ في شيءٍ إلَّا شانَهُ، وما كانَ الحياءُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ". (Al-Tirmidhi 1741)

ولهذه الأسباب، فإن أفعال كالسب أو الكلام البذيء أو الدلالة أو الرياء أو مشاهدة الأفعال الحميمة في التلفاز أو في الأفلام أو عرضها في الأماكن العامة وما في حكمها تتعارض مع تعاليم الإسلام.

من الواضح أن حماية الحياء تتطلب معرفة ما يعنيه ذلك في الإسلام ثم اتخاذ خطوات الانضباط الذاتي للقيام بذلك:

> المبدأ الإسلامي هو أنه في حالة تحريم شيء ما، حُرم كذلك ما يؤدي إليه. وهذا يعني أن الإسلام ينوي قطع جميع السبل المؤدية إلى الحرام. على سبيل المثال، كما حرم الإسلام الجنس خارج نطاق الزواج، حرم أيضًا كل ما يؤدي إليه أو يجعله جذابًا مثل الملابس المغرية والخلوة والاختلاط العرضي بين الرجال والنساء وتصوير العري والأدب الإباحي والأغاني الفاحشة وما إلى ذلك. (Al-Qaradawi 1995:28).

وبالمثل، هذا هو السبب الذي يجعل الرجال أو النساء المسلمات يتقيدون بحدود النوع الاجتماعي، ولن يقبلوا ذلك الذي تم عرضه عن طريق التفضل بالركوب إلى المنزل في أمسية ممطرة (أو تقديم عرض واحد) إذا كان المشاركون في ذلك ليسوا محارم (غير مؤهلين للزواج) ولن يتبادلون المصافحة أو العناق حتى مع شخص يحبونه كثيرًا إذا تجاوز ذلك حدًا بين الجنسين. وهو أيضًا سبب قلة المودة الجسدية التي تظهر بين الزوجين المسلمين في الأماكن العامة. فالمودة شأن خاص ومسألة حياء. والحياء أمر أساسي في الإسلام لدرجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" لكلِّ دينٍ خُلقٌ وخلقُ الإسلامِ الحياءُ " (Al-Muwatta 47.9)

الملابس الاسلامية

بما أن الإسلام دين والحياء أمر أساسي فيه، فإن الحياء في الملابس عنصر واضح. تركز المناقشة حول الملابس المقدمة هنا بشكل أساسي على ملابس النساء، وملابس النساء في المجال العام (أي الملابس التي يرتدينها السناء بصحبة الغرباء – غير المحارم). وهذا يعني أن المقصود بالمجال

العام هنا هو "بصحبة الغرباء" بدلاً من "خارج المنزل" على الرغم من أن هاتين الحالتين غالبًا ما يتطابقان. ولذلك، تختلف تعريفات "الفضاء العام" و "الفضاء الخاص" في الإسلام عن تلك الموجودة في النموذج الغربي (Tavris 1992:17; El Guindi 1999:82).

توجد العديد من المتطلبات والنواهي المتعلقة بالملابس في التعاليم الإسلامية. فبشكل أساسي، ينبغي تغطية العورة، لكن طريقة أو نمط التغطية يختلف اختلافًا كبيرًا من بلد إلى آخر ومن شخص لآخر:

الإسلام يبيح – في الواقع – أن يحرص المسلم على مظهره واللباس اللائق والمحافظة على كرامته والتمتع بما خلقه الله من اللباس والزينة. فمن وجهة النظر الإسلامية، للباس غرضان: تغطية الجسم وتجميل المظهر.. فلقد فرض الإسلام على المسلمين تغطية عورهم... والنظافة هي جوهر حسن المظهر وجمال كل زينة... والتجميل والأناقة ليسا مُباحين فحسب بل إنهما واجبين في الإسلام، وعموماً يرفض أي محاولات تحريمهم:

" قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ..." (سورة[8] الأعراف رقم 7، الآية 32)

> ... يحرم الإسلام لبس المرأة ملابس لا تغطي بدنها وتكون شفافة كاشفة لما تحتها. كما يحرم لبس الثياب الضيقة التي تجسد أجزاء الجسم ولا سيما الأجزاء المثيرة للجنس.... والقاعدة العامة في التمتع بالطيبات من الرزق كالطعام والشرب واللباس، هي أن يكون استعمالها دون إسراف أو فخر. (Al-Qaradawi 1995:79-87).

يضاف إلى هذه القائمة تحريم تعطير الملابس (انظر Al-Albani 1994:37).

المكونات القياسية لمتطلبات الملابس الإسلامية للنساء هي غطاء الرأس والملابس الفضفاضة غير الشفافة التي تغطي الجسم بالكامل، ربما باستثناء اليدين والوجه. وتعتمد كيفية تلبية هذه المتطلبات على ثقافة المرأة، وما تحبه وتكرهه الشخصية. وعادة في مصر – على سبيل المثال – ترتدي المسلمات جلابيات (جلباب باللغة العربية الفصحى) طويلة وفضفاضة لإخفاء ملامح الجسم بألوان صلبة قاتمة مصنوعة من قماش معتم" (El Guindi 1999:143).

الملابس التقليدية للنساء المسلمات في ماليزيا هي "باجو كورونج" – فستان ماليزي مع تنورة طويلة وأكمام طويلة ورقبة ضيقة... ولتغطية رأس المرء بوشاح أو غطاء رأس صغير، ميني تليكونج (Lie 2000:33)، أو ارتداء "تونيك طويلة فضفاضة فوق عباءات" (Ong 1990:261).

وفي المغرب الملابس التقليدي هي الجلابة – "ثوب طويل الأكمام وطويل الجزء السفلي وله أيضًا غطاء للرأس" (Davis 1987:26) على الرغم من أنه في الآونة الأخيرة يمكن أن يكون الجلابة بلا غطاء للرأس، إنه متشابه في الشكل للجنسين كليهما، حيث توفر المواد والتفاصيل (التطريز وما إلى ذلك) خصائص مميزة: "النساء يغطين أجسادهن عند الخروج، يرتدين إما جلابة (رداء طويل) وحجاب أو "الحايك" – قطعة كبيرة من القماش يلفونها حول أنفسهم بحيث تظل أيديهم وأقدامهم وأعينهم فقط مرئية" (Davis 1983:61, in El Guindi 1999 :61) :

> "الحايك" هو تباين الرداء الملفوف الذي يرتدينه النساء (من جميع المجموعات العرقية) في بعض الدوائر التقليدية في المناطق الريفية والحضرية في الشرق الأوسط. وبهذا

8 سورة أي إحدى سور القرآن المائة وأربعة عشر، والآية هي وحدة السورة.

المعنى، فهو مؤشر عن العرق والنوع. الجلابة المقنعة... من ناحية أخرى، يرتديها الجنسين كليهما ويتشابه في المظهر. كعنصر ملابس، فهي مزدوجة الجنس، مما يبرز التباين الدقيق في الملابس كما يستخدمها الرجال والنساء. (El Guindi 1999:61; cf. Stillman 2000)

غطاء الرأس في الإسلام

من أكثر جوانب الإسلام وضوحًا وإثارة للجدل في السياق الغربي قانون الملابس – وخاصة الحجاب. وهناك العديد من الأسباب لذلك، بعضها يستند إلى سوء الفهم، والبعض الآخر على السياسة والبعض الآخر على أساس التناقض في قواعد اللباس الإسلامية والغربية الحالية. فشروط الملابس منصوص عليها بوضوح في الإسلام وقد ورد ذكر الملابس مرات عديدة في القرآن. وذُكرت الملابس في سياقات عديدة بما في ذلك الملابس المناسبة للرجال والنساء وكبار السن، والحقوق والالتزامات فيما يتعلق بتوفير الملابس، والاستخدامات المجازية لمصطلحات الملابس لوصف المواقف، واللباس الصحيح لأداء فريضة الحج. كما أن ضوابط الإسلام الأخرى – السنة وأحكام العلماء – تشير بكثرة إلى اللباس

وفي اجتماع حديث حول هذا الموضوع، رفض العالم الإسلامي المغربي المعروف، البروفيسور مصطفى بن حمزة، الإشارة القرآنية المباشرة دون تفسير أو فهم كافٍ. فقال إن اشتراط ارتداء الرجال والنساء غطاء الرأس وغطاء الرأس واليدين للنساء، مذكور في المؤلفات الإسلامية وهو وجهة نظر عالمية بين المؤهلين في الدراسات الإسلامية[9]. كما أوضح رولد النقطة التالية: "يوجد بين علماء المسلمين إجماع على غطاء الأنثى ولكن لا يوجد إجماع على الشكل الفعلي للغطاء" (Roald 2001:271). ويجري هنا أيضًا مناقشة الإشارات القليلة والمباشرة جدا في القرآن والتي يستشهد بها الآخرون بشكل متكرر.

الإشارات القرآنية لملابس النساء

وردت كلمة الحجاب عدة مرات في القرآن ولكنها لمرة واحدة فقط تشير إلى ملابس النساء. قطعتا الملابس المذكورين للنساء هما الخمار (حجاب الرأس) والجلباب (عباءة طويلة) والتي لم يكن قد أدخلها الإسلام حديثًا ولكنها كانت على الأرجح جزءًا من خزانة الملابس في ذلك الوقت (El Guindi 1999:139).

تبدأ سورة النور بالآية:

"سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ".[10]

يُفهم من هذه الآية أنها تشير إلى محتوى السورة كلها التي تتناول سلوك المسلمين ولا سيما ما بين الرجال والنساء، وهذا فرض، وفيما يلي تفسيرا لهذه الآية. وداخل سورة النور غالبًا ما تُقتبس آية قرآنية (بالمعنى الوارد في الترجمة[11] أدناه)، والتي تشير تحديدًا إلى الزي الإسلامي للمسلمين:

---

9 أُجريت مقابلة مع البروفيسور بن حمزة في أبريل ومايو 2005 في وجدة، المغرب.

10 المعنى المستخدم هنا هو لمحمد شاكر 1999.

11 يرجى ملاحظة أن القرآن نزل باللغة العربية، وبالتالي فإن أي ترجمة هي ترجمة للمعنى وليست للقرآن نفسه.

"قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ" (القرآن 24: 30).

"وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (القرآن 24:31).

ذكرُ مباشر آخر للباس المناسب في سورة الأحزاب:

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" (القرآن 33:59)

القرآن كتاب يصعب فهمه – خاصةً عندما يكون مترجَمًا – ولكن أيضًا باللغة العربية الأصلية للناطقين بها في العصر الحديث. ولا يسمح التقليد الإسلامي بالتفسير الفردي للقرآن، لذا فإن أي إشارة إليه من قبل شخص ليس عالمًا إسلاميًا مدربًا ومؤهلًا يجب أن تكون مصحوبة بالتفسير:

قال النبيﷺ:

"من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" (Abu-Dawood, 3644).

ومع أخذ ذلك في الاعتبار، ينبغي تقديم تفسير مرموق للعالم المصري الشهير محمد متولي الشعراوي للآيات المذكورة أعلاه. في رحاب سورة النور، إذن فإن سورة النور هي "سورة أنزلناها وفرضناها" (القرآن 24: 1) تعني في الواقع أن السورة كلها فرض، ومحتويات السورة محددة – من البداية حتى النهاية. وهذه هي السورة الوحيدة في القرآن التي تبدأ بهذه الطريقة، واتفق العلماء عالمياً على أن ما تتضمنه أطر هذه السورة فرض.

تتطرق الآيتان 30 و 31 من هذه السورة إلى الحياء: الآية 30 موجهة للرجال و الآية 31 للنساء. وهنا يُطلب من النساء المؤمنات أن "يتجاهلن مظهرهن" أو يخفضن أبصارهن – وهو ما يُطلب من الرجال فعله في الآية 30. ومن المثير للاهتمام، في الاستخدام الاصطلاحي العربي أن هذا يعني تجنب شيء ما في مجال رؤيتك – جزء من كل ما يمكنك رؤيته – بل بالأحرى التحديق في الأرض كما لو كنت تشعر بالخجل أو التأديب. وينبغي تثبيت غطاء الرأس معتمًا ويجب أن يغطي منطقة الصدر بالكامل. فالآية تخاطب جميع المؤمنات. التفسير هو أن الخمار – المترجم هنا غطاء للرأس – يعني أي غطاء يستوفي شروط "مثبت وفضفاض وكبير ويغطي الرأس والرقبة والصدر". وتعترف السورة بأن الجمال متأصل في المرأة وأن التعرض الانتقائي له أمر مرغوب فيه. وبالمثل، لا ينبغي "كشف" ما يتم ارتداؤه تحت الغطاء عن طريق الصوت (مثل المجوهرات ذات الأجراس وما إلى ذلك) أو أي وضع آخر.

وفيما يتعلق بسورة الأحزاب الآية 33 (القرآن 33:59)، فإن الأمر موجه أولاً إلى الزوجات ثم إلى بنات النبي (ﷺ) ثم إلى المؤمنات الأخريات. أي أنه لا يأمر أمته في شيء يستثني نفسه. فإدراج كلمة "قل" يثبت أن الأمر من الله وليس من النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها كلمة لا داعي لها إذا كان النبي يحتاج فقط إلى نقل هذه المعلومة إلى أهله بنفسه. وهذا يؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم

ليس إلا رسولاً. فهو ليس صاحب الأمر، بل هو ناقل لأوامر الله. وآل بيت النبي هم من جميع المسلمين، فيمتد الأمر إلى جميع المسلمين. والكلمة المستخدمة هنا للمرأة هي "النساء" وهي صيغة الجمع. وليس هناك صيغة مفردة من أصلها. أصل النساء هو الناسي، أي المتأخر، ويشير إلى خلق حواء بعد خلق آدم.

"يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ" مثال على المزاج المرح (وهي سمة من سمات اللغة العربية) وهو أمر للشخص الثاني (أي: الزوجات والبنات والمؤمنات). ولذلك، كان أمر الشخص الأول هو "قل" (مباشرة إلى الرسول) وكان الأمر الخاص بالمجموعة الثانية هو " يُدْنِينَ....." والجزء الثاني من هذا هو الرد على الأول (لمثال آخر انظر سورة الحج) (القرآن 22:27). أمرت الزوجات والبنات وغيرهن من المسلمات بالحجاب؛ فإن لم يفعلوا ذلك، فإن شرط الإيمان فيهم ينقص. وأصل عبارة " يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ " هو "الدنيا" وهو ما يعني "منخفض وقريب". لذا فإن هذا الجزء يعني أن ملابس النساء يجب أن تكون قريبة من الأرض. وكلمة "عليهن" (على النساء) يُقصد أنه يشمل الجسد كله ويلتف حول (الجسد) يسقط على الأرض (Al-Sabooney 2002:461-462) . فينبغي أن يكون الجلباب طويلاً ومغطى وأن يستوفي شروط الملابس (فضفاض ولا يشف.... إلخ). ويشرح الجزء الأخير من الآية الحكمة من الأمر: تُعرف المرأة المسلمة بملابسها وحيائها (Ash-Sharawy 1991:12160-12168).

المسلمون في الأراضي ذات الأغلبية المسلمة

المسلمون الذين يرتدون الملابس الإسلامية هم "في السياق" في الأراضي ذات الأغلبية المسلمة – لا يوجد تحريف من حيث المعنى الأساسي المتصل؛ ويُفهم "المعنى" الذي ترسله الملابس من "المُرسل" (الذي يرتديها) و "المتلقي" (المشاهد) (Belch and Belch 2004:139).

في سلسلة من المقابلات التي أجريتها مؤخرًا في المغرب كجزء من عملي الميداني، ذُكر السؤال الأساسي "لماذا تغطي رأسك؟" في جدول الأسئلة للنساء اللاتي يغطين رؤوسهن. وكان الرد الأول والأكثر شيوعًا أنه فرض (انظر أيضًا Roald 2001:294; Azzam 1996:226) وهذا هو المصطلح العربي الذي يترجم بشكل أفضل على أنه "فرض إلزامي" (مطلوب من الله). وكان هناك شعور مشابه عبر عنه رداً على هذا السؤال، عادةً إلى جانب الرد بـ فرض، وهو التقوى.

غالبًا ما يُترجم مصطلح التقوى إلى اللغة الإنجليزية على أنه "الخوف من الله". ومع ذلك، فإن "الإله الغاضب" ليس كيف تُفهم التقوى في سياق إسلامي. أولاً: الله ليس له صفات بشرية فلا يغضب ولا يشعر بالغضب مثل الإنسان. ثانيًا، للتقوى معنى مزدوج، لأن للتقوى جذرين – أحدهما يمكن ترجمته على أنه "الحماية" (الاتقاء) والآخر "القوة"، ولذا فإن خلاصة الدين من آدم حتى آخر نبي هو "افعلوا هذا ولا تفعلوا ذلك". اتخذوا إجراءات إيجابية ولا تتخذوا إجراءات سلبية؛ ولذلك، بما أن هناك سلبيًا وإيجابيًا، فإننا نأخذ من الإيجابي ما هو نافع (القوة) وندفع السلبي الضار (الحماية). وهذا يعني أنك تخاف مما حرم الله وتحتاج إلى دفع الأذى عنك وكذلك جذب الخير. وهذا يتفق مع الفهم الإسلامي القائل بأن الله الذي ليس له صفات بشرية ولا جنس لا يفضل أحد الجنسين على الآخر ويهدي به كممارسات ينبغي اتباعها وهي "خير لك ولهم".[12] وعليه فإن لبس الثوب الشرعي – المعرَّف بأنه لباس يفي بالمعايير المنصوص عليها في النصوص والأحكام –

12 يشير هذا المفهوم إلى الفكرة الإسلامية التي مفادها أن كل الناس لديهم حدود لما يمكنهم تحمله، لكن الناس يتحملون أيضًا مسؤولية تجاه بعضهم البعض. ولذلك فإن الآداب الإسلامية هي دليل لفائدة كل فرد من أفراد المجتمع وكذلك لفائدة الجميع.

أي فضفاض وساتر وغير شفاف وفاتر اللون ونظيف ومرتب ومنظم – هو عبادة وخضوع لله (Ash-Sharawy 1991: Vol. 4:1977-1978).

سوء الفهم على أساس الترجمات

كما ذكرنا سابقًا، غالبًا ما يكون من الصعب الحصول على ترجمات عالية الجودة. وتعتمد الترجمات على ثقافة ومعرفة وخلفية الشخص الذي يقوم بالترجمة (Roald 2001:128). على سبيل المثال، الحجاب ليس الكلمة العربية لكلمة Veil. فهو ليس مصطلحًا حديثًا لكنها ليست قديمة إلى هذا الحد. إنها فكرة معقدة طورت تدريجياً مجموعة من المعاني ذات الصلة... وكان للمصطلح معنى محدد جيدًا بحلول القرن التاسع الميلادي... [و] أصبحت جزءًا من المفردات العربية العربية في أوائل الإسلام (El Guindi 1999:152) . وبين المسلمين هي الكلمة المستخدمة بشكل شائع لغطاء الرأس الذي ترتديه النساء المسلمات، على الرغم من أنها تستخدم في بعض البلدان للإشارة إلى مجموعة كاملة تتوافق مع قواعد الملابس الإسلامية. ويجري تشجيع المسلمين والمسلمات على حد سواء على ارتداء الحجاب (النساء بالحجاب والرجال من خلال تبني اللحية) كلاهما كشكل من أشكال الحماية والحياء وأيضًا كإشارة واضحة على أنهم من أتباع الإسلام (Roald 2001:262) :

> الحجاب كلمة مشتقة من أصل (ح ج ب)، يترجم شكلها اللفظي "حجب" إلى "عزل وحجب وإخفاء وتشكيل انفصال إخفاء". ويُترجم الحجاب على أنه "غطاء أو غلاف أو ستارة أو حجاب أو شاشة أو قسم". وتشير نفس الكلمة إلى التمائم التي يحملها الشخص (خاصة كطفل) للحماية من الأذى. ومشتق آخر "حاجب" يعني "الحاجب" (حامي العين) وكانت أيضًا الكلمة المستخدمة خلال فترات الخلافة للمسؤول الذي فحص المتقدمين الذين يرغبون في مقابلة الخليفة. وبالتالي، فإن المصطلح الأوروبي "حجاب Veil" (بما يرتبط به من "العزلة") يفشل في التقاط هذه الفروق الدقيقة ويبالغ في تبسيط ظاهرة معقدة. (El Guindi 1999:157)

ومع ذلك، فإن الكلمة الغربية "حجاب veil" هي "مثيرة" وقابلة للتسويق في الغرب. وبالتالي، فإنه يميل إلى الإفراط في استخدامها دائمًا خارج السياق أو بدونه، ففي عناوين الكتب والمقالات والمؤتمرات والصحافة والأفلام والأدب الشعبي بطريقة لا تتناسب مع الأهمية النسبية للحجاب في شؤون (مسلمي) الشرق الأوسط وبغض النظر عن جودة المعرفة حول الحجاب... جاء الحجاب ليحل محل الهوس السابق بـ "الحريم" والحمامات (الحمامات العامة). "الحريم" والحمامات آنذاك، و "الحجاب" الآن، يستحضران طاقة جنسية عامة لم تتمكن المسيحية الأولى والثقافة الغربية المتزمتة والعناصر المعاصرة للمسيحية الأصولية من التصالح معها أو استيعابها أو التسامح معها. وفي الغرب تستحضر مصطلحات الحريم / الحجاب / تعدد الزوجات في الإسلام مرادفًا لضعف المرأة واضطهادها (El Guindi 1999:10; see also Roald 2001:254 and Stillman 2000)

لدى الجندي "حريم" بين علامتي اقتباس، لأن هذا مثال جيد آخر على الترجمة الخاطئة والتحريف. "الحريم" مصطلح نشأ من كلمة "الحريم" العربية في إشارة إلى جناح المرأة في المنزل، وهو مكان خاص "محظور" على الرجال غير المحارم (El Guindi 1999:25).

سوء الفهم استنادًا إلى النماذج المستخدمة

يقول القرآن:

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (القرآن 33: 35).

تبدأ هذه الآية بوصف مصطلح إسلام (الخاضعين) ويليه إيمان نزل لتوضيح أن القرآن يخاطب جميع المسلمين إلا إذا حدد جنسًا أو آخر (Sunan AlTirmidhi #3211 and Musnad of Iman Ahmad Vol. 6, #301305) . ونقطة أخرى مهمة يجب التطرق إليها في هذه الآية هي أنه يتم الإشارة إلى جميع الجوانب لكل من الرجال والنساء باستثناء الإشارة إلى الأجزاء الخاصة. وهذا يجسد الكرامة والاحترام اللذين يمنحهما القرآن للمرأة وخصوصيتها. ومثال آخر هنا هو استخدام كلمة "لهم" (هم ذكر - وليس هم ذكر وأنثى) في السطر الأخير أعلاه والذي يوفر أيضًا حماية للمرأة تكريما لها (Ash-Sharawy 1991:12029-12034).

كل خطاب في القرآن موجه للمؤمنين يخص الذكور والإناث على حد سواء، إلا إذا كان الحكم يخص النساء فقط (Ash-Sharawy 1991:2501). فمن الواضح أن الله لا يفصل القيمة الروحية إلى تصنيفات للجنس، لكن:

> ما ننسى كثيرًا هو أن الله قد كرم النساء بإعطائهن قيمة بالنسبة له – وليس فيما يتعلق بالرجال. ولكن بما أن النسوية الغربية تمحو الإله من المشهد، فلا يوجد معيار آخر سوى الرجال. ونتيجة لذلك، تضطر النسوية الغربية إلى إيجاد قيمتها بالنسبة للرجل. وبذلك تكون قد قبلت بافتراض خاطئ حيث قبلت بأن الرجل هو المعيار، وبالتالي لا يمكن للمرأة أبدًا أن تكون إنسانًا كاملاً حتى تصبح مثل الرجل تمامًا – المعيار.... ومع ذلك، حتى عندما يكرمنا الله بشيء أنثوي فريد فإننا مشغولون جدًا بمحاولة إيجاد قيمتنا في إشارة إلى الرجال أو تقديرها أو حتى ملاحظتها. (Mogahed 2005:4)

كثير من الكتابات عن الإسلام أو المسلمين مشوشة أو غير مدركة لذلك. فقد زعم بعض الباحثين أنه بسبب تنازع النسويات المسلمات مثل فاطمة المرنيسي ورفعت حسن على استخدام الحجاب كعرف إسلامي لا يوجد إجماع إسلامي على غطاء الإناث في الإسلام. "أنا أدحض هذا الادعاء بشدة حيث توجد في الشريعة الإسلامية معايير معينة (تتعلق بالتعليم والكفاءة في المعرفة الإسلامية) فيما يتعلق بكونك عالمة إسلامية، ومن الواضح أن النسويات المسلمات المعنيات لا يستوفينها" (Roald 2001:313).

كاتبتان بارزتان في اللغة الإنجليزية هما المغربية فاطمة المرنيسي والمصرية ليلى أحمد. تدعي ليلى أحمد أن غطاء الرأس ينظم فقط زوجات الرسول، وتقول المرنيسي أنه غير مطلوب على الإطلاق (Roald 2001:256)، ويوافق وودلوك على الآتي:

> اتخذت كل من المرنيسي وأحمد مقاربات تاريخية لقضية مساواة المرأة في الإسلام والتي اعتمدت بشكل كبير على القراءات المستوحاة من النسويات الغربية (خاصة بالنسبة لمرنيسي) والمنحة الاستشراقية (على وجه الخصوص، لأحمد). على سبيل المثال... إن أطروحة المرنيسي متأثرة بشكل مباشر بالدراسات الاستعمارية والنسوية الغربية: أن الحجاب يضطهد المرأة ويعيق حريتها. وبالتالي، يصبح من الضروري بالنسبة لمرنيسي

تفسير الحجاب على أنه فشل في رؤية النبي المتساوية.... كلاهما يعكس بلا وعي المفهوم الغربي لتقسيم الفضاء العام وتفوقه على الخاص وربط الأول بالرجل والأخير بالنساء. والامتداد الطبيعي لهذه الثنائية هو أنه يصبح من الضروري للمرأة التنافس مع الرجل للسيطرة على الفضاء العام (انظر أيضًا El Guindi 1999:81) بدلاً من إعادة تقييم تنوع الأدوار المكانية لكل من الرجال والنساء وتجنب الأدوار الأساسية للجنس. على هذا النحو، فإن كلاهما يفوتان الفرص الأكثر دقة لتفسير القرآن على أنه يدل على الإنصاف والمساواة في النتائج بدلاً من الفكرة الخاطئة بأن المساواة تعني أن تكون المرأة متساوية مع الرجل، والتي لا تزال تعتبر الذكر معياريًا (انظر Tarvis 1992:17) (Woodlock n.d.)

نعود هنا إلى النقطة اللغوية المرتبطة بالخصوصية. ففي السياق الغربي، تكون المساحات الخاصة شخصية أو فردية أو سرية في حين أن المساحات العامة جماعية ومفتوحة – فالخاص هو المنزل والعام هو خارج المنزل. وفي اللغة العربية، يوجد مفهوم الخصوصية، ولكن ليس بالشكل نفسه:

تتعلق الخصوصية بنطاقين أساسيين – المرأة والأسرة. ولكليهما، الخصوصية مقدسة ومحروسة بعناية. بالنسبة للنساء، يعد هذا حقًا وامتيازًا حصريًا ينعكس في اللباس والفضاء والعمارة والسلوك التقريبي. هويتهم الاقتصادية والزوجية المستقلة غير مرتبطة بالأسرة. فالمرأة هي حارسة قدسية المجتمع.... الخصوصية العربية لا تعني الفردية ولا الانعزال إنما هي علائقية وعامة. (El Guidi 1999:82)

نموذج مختلف

الإسلام ليس قابلاً للتفكيك أو عزل مظاهره، هذا التحريف هو منظور واحد فعندما يكون الناس على دراية بطريقة واحدة لفعل شيء ما، فإنهم يستخدمون ما يعرفونه لفحص الأشياء خارج تجربتهم الخاصة. ومع ذلك، يؤدي هذا غالبًا إلى إسناد غير صحيح وسوء فهم كامل. ومن الأمثلة الشائعة "الإسلام السياسي" كفئة منفصلة عن "الإسلام" (الكلي) والصور المرتبطة بالنساء. وقد يُعزى التركيز على الفكر الإسلامي السياسي في البحث المعاصر عن المسلمين إلى حقيقة أن الدين في السياق الغربي يميل إلى اعتباره ينتمي إلى المجال الشخصي مما قد يجعل من الصعب على الباحثين الذين نشأوا على مثل هذا التقليد يدركون تمامًا فكرة الإسلام على أنه "نظام شامل" (Roald, 1994) (Roald 2001:10)

فثمة ميل إلى:

يفرض التفسيرات المسيحية من الناحية العرقية على التفاهمات الإسلامية.... فالإسلام والمسيحية كليهما يقدم أنظمة أخلاقية لكبح السلوك غير اللائق وغير المنضبط الذي يهدد النظام الاجتماعي والأخلاقي: فاختارت المسيحية طريق نزع الجنس عن البيئة الدنيوية؛ واختار الإسلام تنظيم النظام الاجتماعي مع قبول بيئته الجنسية. (El Guindi 1999:31)

يتضمن نموذج الفكر الغربي الثنائي (المؤنث مقابل المذكر والمادي مقابل الروحاني) الذي نشأ منذ الإغريق (Nisbett 2004:154) "التعارض الحداثي بين الفاعل والمفعول" (Firat and Dholakia 2006:132) كان صارمًا للغاية وأيضًا مهيمن في اللغة الإنجليزية. وتطبيق هذه النماذج على كل مجموعة جرى دراستها له عيوب محددة على أقل تقدير ويؤدي إلى "تفاهمات" مضللة للغاية في أحسن الأحوال. فعلى مر التاريخ، كانت هذه مشكلة مع الدراسات الاستشراقية

حول "الغرب" (Said 1978) والبحث الغربي في الإسلام (Ghannoushi 2005). إذ تدعم التعاليم الإسلامية سلسلة متصلة وليس تقسيمًا:

> تختلف النظرة الإسلامية للحياة عن المُثُل الغربية الحديثة ليس فقط في تقديم إجابات مختلفة ولكن أيضًا في طرح أسئلة مختلفة تمامًا. حتى الكثير ممن يعتبرون أنفسهم مسلمين حقيقيين ويرغبون في الترويج لقضية الإسلام، لا يمكنهم التفكير إلا بالمصطلحات الغربية. وإن مسألة "التخلف" مقابل "التقدمي" أو حتى "البدائية" مقابل "التحضر"، لا علاقة لها بالنظرة الإسلامية للحياة مثل "المساواة" بين المرأة أو الحق في "الحرية" المطلقة للفكر والعمل. (Jameelah 1978:63)

المسلمون في الأراضي ذات الأقليات المسلمة

كما أن المسممين في بعض البلدان "في السياق" فهم كذلك "خارج السياق" في بلدان أخرى – عادة عندما يكونون في بلدان ذات أقلية مسلمة. فيعاني "توصيل" رسالة الملابس من التشويه في هذه السياقات. فغالبًا ما لا يفهم "المتلقي" "الرسالة التي يرسلها" مرتدو هذه الملابس – أو يُفهم أن لها معنى مختلفًا تمامًا عن المقصود (أو المرسل) من قبل مرتديها. وهذا يؤكد على قضايا الهوية للأقليات:

> على سبيل المثال، من المحتمل ألا تؤكد امرأة سورية مسلمة تعيش في منطقة حضرية في سوريا على جنسيتها ولا على دينها. لكن فيما يتعلق بالمرأة نفسها التي تعيش في بريطانيا، فإن "إسلامها" وجنسيتها وطبقتها وربما جنسها ستكون أمورًا مثيرة للقلق، وتُعرف نفسها بهذه المصطلحات. وفي مواجهة المسلمين مع غير المسلمين، يميل الإسلام أن يصبح علامة الهوية بغض النظر عن علاقة الشخص بالقواعد والأنظمة الإسلامية. فطالما كان المرء جزءًا من الثقافة السائدة أو ينتمي إلى الأغلبية في المجتمع، فلا داعي للبحث العاجل عن الهوية، ولكن في مواقف الأقليات تميل هذه الأمور إلى التناقض مع الآراء أو الخصائص السائدة وتصبح إشكالية. (Roald 2001:14)

أكثر للأفراد على المستوى الشخصي:

> يمكن تقسيم الهوية إلى عناصر أصغر. فالأمر يتعلق بكيفية رؤية المرء لنفسه – أي تعريف المرء لذاته – كما أن له علاقة بكيفية إدراك الآخرين له. ففي مواقف معينة، قد يتوافق تعريف الذات مع تصورات الآخرين، لكن في نزاعات الأقلية / الأغلبية، تميل تصورات الآخرين إلى التعبير عنها بعبارات نمطية. وتميل تعريفات الذات أيضًا إلى التغيير وفقًا للظروف. وفيما يتعلق بالمرأة المسلمة الناطقة بالعربية والتي تعيش في دولة أوروبية غربية، فإن وعيها الذاتي لكونها مسلمة سيكون واضحًا في بيئة غير مسلمة.... غالبا ما تؤكد المهاجرة المسلمة على هويتها الإسلامية في لقائها بالباحثين الغربيين. ومن الناحية الاجتماعية، يجري تعريفها على أنها مسلمة، ووفقًا للشريعة الإسلامية (القانون الإسلامي) يتم تعريفها على أنها مسلمة. (Roald 2001:16-17)

تصبح الرؤية المتطرفة للمرأة المسلمة التي تراعي متطلبات الملابس الإسلامية في المجتمع الغربي قضية هوية كبيرة جدًا عند ترجمتها في سياق الملابس – خاصةً إذا كانت ردود الفعل الاجتماعية تجاه لباسها معادية أو سلبية:

نظرًا لأن التفاعل بين المسلمين وأغلبية السكان في معظم دول أوروبا الغربية يبدو محدودًا، فإن الخصائص الظاهرة، أي السمات البارزة، للمجموعة الثقافية الأخرى تصبح هي ما يتم تسليط الضوء عليه مقارنة بالموقف الأيديولوجي للفرد. وبصرف النظر عن الحكم على المجموعة الخاصة بالمرء وفقًا لمعيار مثالي والحكم على المجموعات الخارجية وفقًا لممارساتها أو سلوكها الفعلي، يميل الأفراد الذين ينتمون إلى مجموعة الأغلبية والأقلية إلى `` وضع صورة نمطية لأنفسهم بالإضافة إلى الآخرين من حيث سماتهم المشتركة كمجموعة الأعضاء (Turner and Giles 1981:39). (Roald 2001:6).

علاوة على ذلك، لاحظ رولد أن هناك ميلًا على الجانبين كليهما لإدراك المجموعة الأخرى فيما يتعلق بما هو "تطرف" فيما يتعلق بموقف الفرد أو ممارسته (Roald 2001:6). بل ويذهب رولد إلى أبعد من ذلك، مستخدمًا أعمال كينيث ريتزن لإظهار أن أعضاء مجتمع الأغلبية الذين لديهم اتصال بالمهاجرين و "ينقلون انطباعاتهم إلى بقية المجتمع" من المحتمل أن يكون هؤلاء مثل الأخصائي الاجتماعي الذي يتعامل مع أشخاص لديهم مشاكل، وقد يؤدي هذا – جنبًا إلى جنب مع المصالح الخاصة لوسائل الإعلام (لا توجد قيمة إخبارية كبيرة في الانسجام أو التجانس) – إلى تحريف قاسٍ لمجموعة الأقلية (Roald 2001:6).

هذا صحيح بشكل خاص إذا تم تجريد الرموز (مثل غطاء الرأس الإسلامي) التي لها معنى محدد للغاية في الإسلام، فمن معانيها السياقية المقبولة واستثمرت مع معاني أخرى أو أجنبية عادة من أولئك الذين لا يغطون رؤوسهم. وهذا يقودنا إلى النموذج "المعارض". فللحجاب دلالات مختلفة في السياق الغربي:

> قد يُنظر إلى الراهبة المسيحية التي ترتدي الحجاب على أنها صورة للتدين الصادق والنقاء والسلام، بينما يُنظر إلى المرأة المسلمة التي ترتدي الحجاب على أنها رمز لاضطهاد المرأة وعلى أنها تقدم ببيان سياسي ديني.... وقد يُنظر إلى التزامها الديني على أنه يشير إلى موقف "أقدس منك" وبالتالي يثير الاستياء لدى غير المسلمين. ففي العديدة من الدول الغربية، يعتبر الدين مسألة خاصة. وبالتالي فإن العبارة الشائعة هي أن "التدين لا ينبغي أن يكون مرئيًا بل يجب أن يكون مسألة تتعلق بالقلب والمشاعر الداخلية للفرد". ويبدو أن قبول حجاب الراهبة لم يتأثر بمثل هذه الشكاوى ضد حجاب المرأة المسلمة على الرغم من أن كلاهما لهما نفس الرؤية. لماذا؟ لأن الراهبة تمثل الالتزام بالتقاليد الدينية السائدة. إنها "من الداخل". ومن ناحية أخرى، ترمز المرأة المسلمة إلى اقتحام معتقدات غريبة تتعارض مع التقاليد الدينية السائدة. وقد تعززت هذه الاستجابة من خلال التقارير الإعلامية السلبية عن المهاجرين المسلمين أو المسلمين في البلدان الأخرى. (Roald 2001:254)

كما بين الجندي هذه النقطة:

> في عام 1931 كتب كرولي: "امرأة مسلمة ترتدي الحجاب كما تفعل الراهبة" (1931: 76). هذا مثال على تشبيه شائع جدًا ينتج عن فحص الحجاب كشيء له معنى عالمي (مسيحي). لذلك يُفترض أن حجاب الراهبة وحجاب المرأة المسلمة متطابقان. لا شيء يمكن أن يكون أكثر اختلافًا من هذين الحجابين. ويكمن الاختلاف في المعنى والرمزية والأيديولوجيا والأنوثة المركَّبة ومفهوم الجنسانية. (El Guindi 1999:31)

يؤدي "تفكيك" الرموز هذا إلى تحريفات من الجانبين كليهما. فالتفسير الذرائعي لظاهرة الحجاب الإسلامي له أساس في طبيعة التواصل داخل وخارج المجموعة.... عندما تقابل النساء الإسلامياتِ[13] نساء غير إسلاميات أو حتى غير مسلمات، فإن نقاشاتهن محكومة بما يعتبرن "مقدمات الآخر". فعلى سبيل المثال، في نقاش مع باحثة، قد تحاول النساء الإسلاميات إقناعها بفوائد الحجاب على أسس عقلانية واعتذارية. وبالتالي يمكن استخدام الحجج الاجتماعية والسياسية. (Roald 2001:258)

لا يستخدم الدين كوحدة تحليل عند النظر في الحجاب الإسلامي. إذ "يجب فهم تحليل الحجاب الإسلامي من قبل الباحثين الاجتماعيين في سياق البحث الاجتماعي الحديث الذي يتخلى عن الدين كأداة للتحليل" (Roald, 2001:257). من الواضح أن هذا يحد من التفسير. "العلماء العلمانيون إما ينكرون وجود [استخدام الحركة النسوية الإسلامية للحجاب كاحتجاج] أو يرفضون أيديولوجيًا أي مناقشة علمية لمثل هذه الصيغ (حتى الدراسات التجريبية) باعتبارها اعتذارًا" (El Guindi 1999:184). وأما الحجاب كاحتجاج، من الأمثلة الشائعة على ذلك فعل الناشطة النسائية المصرية هدى شعراوي في عام 1923، والتي عند عودتها من مؤتمر في روما... خلعت حجابها. كان هناك لهث من عدم التصديق. ثم بدأ آخرون بالمئات في خلع حجابهن. وبدأ "نزع الحجاب" عن المرأة العربية.... "(Lamb 2002:146). لكن في مذكرات شعراوي، تبدو الحادثة مختلفة نوعًا ما: هي... شدّت الحجاب عن وجهها (Shaarawi' 1986:7). وكان هذا في الواقع عملًا ضد الأعراف الثقافية والانفصال بين الطبقات الاقتصادية: "لم تتحدى النسوية المصرية المبكرة النظام الأبوي فحسب بل كانت أيضًا أيديولوجية تجاوزت الطبقة وكانت أكثر تهديدًا للنظام القديم لأنها كانت متأصلة في الإسلام. (Shaarawi 1986:21). والحجاب الذي خلعته شعراوي هو حجاب الوجه. لم تخلع حجاب رأسها ولا ترفض الإسلام.

تأمل في هذا المثال: "في مواجهة المرأة العصرية التي تظهر أنوثتها من خلال العناية بجسدها وملابسها، تخفي المرأة المسلمة أنوثتها وراء الحجاب، وبالتالي تقدم" الجسد المقدس "مقابل" الجسد "الجمالي"... وتدخل النساء المحجبات – مثل سابقاتهن – إلى الحياة العامة بشعار "شخصية لكن ليست أنوثة" (Göle 1996:130). ويبد النقص التام في فهم الظواهر المرصودة هنا أمر مذهل. وعلاوة على ذلك:

> كانت الافتراضات الشاملة للنظرية النسوية عمومًا أوروبية وعرقية. وهذه الحدود تظهر الأمور بشكل خاص في الدراسات المختزلة وغير التاريخية حول نساء الشرق الأوسط، والتي تركز بشكل عام على الحريم والحجاب والفصل بين الجنسين والزيجات المرتبة واستئصال البظر، وغيرها من الأمراض المفترضة للثقافة الإسلامية. (Haj 1992:762).

من المهم بشكل أساسي "عدم التغاضي عن حقيقة أن الحجاب ترتديه النساء بسبب قناعة دينية صادقة ويهدف في المقام الأول إلى نقل التقوى واحترام القيم الدينية بدلاً من الراديكالية السياسية ومعاداة الغرب، ولكن من المحتمل أن يرمز إلى موقف سياسي قوي جدًا " (Azzam 1996:226). هذا اقتباس مثير للاهتمام من عزام، لأنها تعترف بالدافع الديني. وتستخدم عزام كلاً

---

13 هذا هو تصنيف رولد وليس المؤلف.

من الدين والسياسة في مناظرتها، ولكن من خلال تضمين الدين فإنها نادراً ما تقدم منظورًا مدروسًا (Roald 2001:259).

من الواضح أن التعاليم الإسلامية عن الحياء وارتداء الملابس الاجتماعية القياسية في المجتمعات الغربية تتعارض، لكن النموذج الغربي يرى أن النساء "اللواتي يغطين وجوههن" على أنهن يعارضهن، في حين أن عنصر "التفاعل الاجتماعي" في اختيارات ملابس النساء المسلمات غالبًا ما يعتبر في المرتبة الثانية بعد "الاهتمامات الرأسية". وتتسع هذه النقطة أدناه في مناقشة الشريعة.

غطاء الرأس في الإسلام ليس علامة على العزوبة، بل على العكس "فقد وضعت المعايير الأخلاقية للإسلام لاستيعاب التمتع بالحياة الدنيوية بما في ذلك البيئة الجنسية. و[غطاء الرأس] لم يشكل أي توتر بين الدين والجنس '(El Guindi 1999:31). ففي الإسلام، لا يقلل النشاط الجنسي للمرأة من احترامها بل إن الإسلام في الواقع يدعم هذه الصورة المركبة للأنوثة (El Guindi 1999:137). ويمكن توضيح هذه النقطة بسهولة من خلال حقيقة أن الشابات المسلمات مطالبين بمراعاة اللباس المناسب (بما في ذلك غطاء الرأس) من سن البلوغ.

علاقة رأسية

إن التركيز على "العلاقة الرأسية" للمسلم الملتزم هو مفتاح الفهم الكامل لقواعد الملابس (وغيرها من الرموز الإسلامية). إذا كان "المُشرع" هو الله، فإن شرع الله هو الهداية:

> القرآن والسنة هما المصدران الرئيسيان للشريعة (Translator's Note, Al-Qaradawi, 1995:14).

> الشريعة هي القانون الإسلامي الذي يتنقل بين بعدين: الأفقي والرأسي. ويغطي البعد الأفقي التشريعات في المجال الاجتماعي حيث تحديد الحقوق والمسؤوليات والالتزامات من حيث العلاقات بين البشر (المعاملات). والبعد الرأسي له علاقة بعلاقة الإنسان بالله (العبادات). وبالتالي فإن الأخير هو الجانب الأسمى للشريعة حيث تنظيم العلاقات الاجتماعية حتى من خلال الإيمان بالله باعتباره خالق كل الأشياء (Roald 2001:104-105)

بعض النساء اللواتي يوصفن عمومًا بـ "المدافعات" يستخدمن النموذج الغربي والمعايير المقبولة في محاولة لشرح الظواهر الإسلامية بطريقة يمكن أن يفهمها الجمهور الغربي:

> الحجاب، الذي يعتبر في السياق الإسلامي ظاهرة دينية، من المرجح تفسيره بمصطلحات دنيوية في النقاش مع غير المسلمين. غالبًا ما يشرح المسلمون للباحثين غير المسلمين أن النساء المسلمات يغطين شعرهن بسبب أهمية الحفاظ على نظام الأسرة أو بسبب الحاجة إلى رؤية المرأة من منظور عقلها وسلوكها بدلاً من مظهرها. وفي مثل هذا النقاش من المهم أن تكون على دراية بمستويات الحجة المختلفة التي قد يقرر المجيب على الأسئلة استخدامها. (Roald 2001:11)
>
> ويمكن إعطاء الباحثة المسلمة إجابة تحفيزية مفادها أن الحجاب أمر إسلامي، في حين قد يتم تقديم إجابات اعتذارية للباحثة غير المسلمة حيث أن الشخص الذي تجري معه المقابلة يحاول إقناع الباحثة من "وجهة نظر عقلانية". (Roald 2001:294)

بشكل عام، ينبغي أن تذهب الكلمة الأخيرة في سوء التفاهم هذا إلى العالم الإسلامي الشهير الدكتور يوسف القرضاوي:

أُلاحظ أن [بعض] الباحثين والكتاب المعاصرين عن الإسلام قد أعمتهم بريق الحضارة الغربية. لقد تغلبوا على هذا المعبود العظيم فهم يعبدونه ويقتربون منه بتوسل ويقفون أمامه بتواضع بعيون حزينة متقبلين للمبادئ والعادات الغربية على أنها راسخة ومثبتة دون أدنى شك. وعليه، إذا كان هناك جانب من الإسلام يتفق مع هذه المبادئ والعادات فإنهم يمدحونها ويمجدونها، بينما إذا عارضتها بعض الجوانب يحاولون إيجاد أوجه شبه واتفاقات أو تقديم الأعذار والاعتذار أو اللجوء إلى التفسيرات البعيدة الاحتمال والتشويهات. وكأن الإسلام ليس لديه خيار سوى الاستسلام لفلسفة وعادات الحضارة الغربية. وعندما نفحص وجهات نظرهم نجد أنهم يسمحون بأشياء حرمها الإسلام مثل التماثيل واليانصيب والفوائد والخلوة بامرأة غير محرم وارتداء الرجل للحرير وما إلى ذلك. ويستهجنون مما أباحه الإسلام من طلاق وتعدد الزوجات وكأن في نظرهم كل ما هو قانوني في الغرب حلال وما هو غير قانوني حرام. وينسون أن الإسلام هو كلام الله وأن كلمته هي الأسمى دائمًا. جاء الإسلام ليُتبَع، لا ليتبِع ليكون مسيطر لا تابع. فكيف يمكن لرب البشر أن يتبع الناس وكيف يمكن للخالق أن يخضع لأهواء خليقته؟ (Al-Qaradawi 1995:2-3).

الملخص

يشير (Haddad, 2002) إلى الآتي:

من أكثر القضايا إثارة للجدل فيما يتعلق بالنساء المهاجرات في جميع البلدان التي انتقل إليها المسلمون تقريبًا بالطبع هي قضية اللباس الإسلامي، وعلى وجه التحديد الحجاب. ومن المفارقات، في حين أن اللباس الإسلامي (التنانير الطويلة والأكمام الطويلة والوشاح) يجعل معظم الشخصيات الأنثوية غير مرئية لعيون الغرباء، فإنه يعمل أيضًا على زيادة وضوح النساء اللائي اخترن ارتدائه بشكل كبير.... وما زال لبس الوشاح علامة على الحياء. وتختار نساء أخريات أشكالًا جديدة من اللباس الإسلامي، غالبًا ما تكون عصرية جدًا في نفس الوقت الذي يتم فيه إخفاءه بشكل مناسب. اولعديد من المهاجرين الجدد – ولا سيما اللاجئون السياسيون وطالبو اللجوء – هم من دول قامت بقمع الممارسات الدينية وحظرت ارتداء الحجاب في الأماكن العامة الرسمية. فبالنسبة لهؤلاء النساء، يقدم الغرب – على الأقل من الناحية النظرية– الحرية في أن تكون مسلمة بالطريقة التي يختارها المرء.... هل حقق الغرب في الواقع أمل الكثير من النساء المسلمات في أن يكون لهن حرية ارتداء الملابس التي يرغبن فيها؟ بالتأكيد ليس في كل الحالات. ففي جميع البلدان تقريبًا حيث تنمو الأقليات المسلمة وتصبح أكثر وضوحًا، هناك حالات واضحة للتمييز ضد الحجاب. (Haddad 2002:xiv).

وبالمثل قال عالم الأنثروبولوجيا طلال أسد:

من السهل أن تكون متسامحًا مع الأشياء التي لا تهم كثيرًا. ويميل هذا إلى أن يكون هو القاعدة في المجتمعات الليبرالية. ما تؤمن به بشكل متزايد وما تفعله في منزلك سواء كنت تفعله بسهولة للغاية أو تقرر عدم فعله، كفرد في الديمقراطيات الليبرالية. فمن يهتم؟ يتسامح الليبرالي مع هذه الأشياء لأن الليبرالي لا يهتم بها. ومع ذلك، فإن التسامح لا يكون له معنى حقًا إلا عندما يتعلق الأمر بأشياء مهمة حقًا. (Asad 2002)

يمكن اعتبار لباس المسلم – من منظور الإسلام – والنمط الغربي الحالي للباس على أنه يأتي من وجهات نظر متعارضة. فكل جهود التجميل والزينة تتم داخل المنزل لصالح نفسك وعائلتك

وأحبائك. وكل جهود التغطية والحياء هي لخارج المنزل، وللنظرة غير المصرح بها للمارة أو أي شخص يأتي إلى "مساحة رؤيتك" – أينما كان ذلك:

> يُظهر الناس في الغرب حياتهم الجنسية في بُعد مكبر من خلال تجميل أنفسهم، لكن هذا في الواقع يضعف الجنس. فنحن نفعل عكس ما يفعلونه على جميع المستويات الممكنة، ونُقصر النشاط الجنسي على مجالات معينة بقدر ما نستطيع، أي أننا نحاول إخراج الجنس من الاهتمام في الحياة الخارجية والشوارع وفي الأماكن العامة. (Student interviewee quoted in Göle 1996:95)

في الإسلام، لا يقلل النشاط الجنسي للمرأة من احترامها... ما تحرمه الأخلاق الإسلامية هو التباهي العلني بالجنس.... بعد أن اختار عدم رفع مستوى النشاط الجنسي من الناحية اللاهوتية أو الأيديولوجية (كما حدث على سبيل المثال في بعض الاتجاهات الرئيسة في اللاهوت المسيحي) فالإسلام يطرح التحدي المعاكس للأفراد المسلمين، أي استيعاب كل من الصفات الإنسانية – الجنسية والتدين - باعتبارها معيارية بينما يسعون جاهدين لتحقيق المثل الأعلى للسلوك الاجتماعي والأخلاقي. (El Guindi 1999:136-137)

وهكذا فإن حياء اللباس نفسه لا يكشف إلا عن الجانب السطحي لهذا الالتزام. وتمثل الملابس التي يتم ارتداؤها مصدر قلق للحياء الإسلامي في كل شيء، ويستطيع المشاهدون من خلال بعض المعرفة رؤية الكثير والكثير عن مجرد امرأة مغطاة الرأس.